السبب الذي من اجله اطلق اسم الاكبر على فردريك (١٤) · ولكن بروسيا نفسها عجزت عن الوقوف في وجه نابليون‌واصيبت بهزيمة منكرة فييينا Jena مما كان له اثره البعيد في البعث القومي ، وفي الفكر القومي الذي سيطغى على اوروبا خلال القرن التاسع عشر ·

يضاف الى المؤثرات العميقة خلال العصر ، والتي جعلت من القرن التاسع عشر ، مرحلة بالغة التعقيد بالقياس الى القرن السابق له ، اثر الداروئية التي طرحت مفهوم التطور كمفهوم علمي ، وحركة الكائنات العضوية وتطورها البيولوجي ، كجزء لا يتجزأ من العلم الطبيعي ، فكسرت الالية النيوتونية وفتحت ثغرة خطيرة في تصوراتها الميكانيكية والآلية · وأصبح دارون بالنسبة للقرن التاسع عشر ، ما كان جاليليو ونيوتن للقرن السابع عشر (١٥) ·

وكانت الرومنسية الثورية في البداية ثورة ضد النظر الى العالم باعتباره مجرد نظام آلي ، وطبيعة راكدة باردة ، فالحياة والعالم وخبرة الانسان اكثر غنى ورحابة ·

والواقع ان الفلسفة الالمانية الرومنسية والتقدمية كما عبر عنها فختة (١٦) ، ومن بعده تلميذه شلينج ، كانت قد طرحت جانبا الثنائية الفجة للمذهب العقلي، ثنائية المادة والروح ، كما طرحت الشكلية الكانتية ، ووصلت الى مفهوم عضوي حيوي للعالم بالمضمون الصوفي عند سبينوزا ، مضمون وحدة الوجود ·الوحدة بين الله والطبيعة ، بين العقل والعالم الخارجي · وقد اضاف هؤلاء الفلاسفة الرومنسيون الالمان : فختة وشلينج وهيجل الى مفهومهم في وحدة الوجود ، مفاهيم النمو والتطور والتقدم · هذا المفهوم الجديد لم يعد يرى في العالم مجموعة من الاشياء تحكمها العلل والاسباب من الخارج ، وتعمل بضبط الآلة ، بل كائن عضوي هائل وحي ، يتطور على الدوام بفعل قواه وقوانينه الداخلية ·

هؤلاء الفلاسفة كانوا متشربين بعمق تراث الفكر المسيحي ، كما ورثوا الى جانبه العقيدة العقلانية ، عن اولوية العقل وقوته المطلقة ، فأحالوا مفهومهم الجديد هذا عن التطور الى مجرد تطور روحي عقلي في الاساس (١٧) · اما هدف التطور عندهم فهو الحرية التي رأوا فيها مظهر الالوهية في العالم · والحقيقة ان الاولوية التي اعطاها هؤلاء الفلاسفة التقدميين في الاساس للحرية يعكس بصدق موقعهم الاصيل في السياسة والاجتماع · فتصور العالم كعملية Process وحركة ونمو وتطور ، انما يرسم معالم النظام الاقتصادي الجديد الذي كانوا يدعمونه ، كما يمثل مرحلة اساسية في الانتقال من المفهوم الميتافيزيقى الجامد للعالم الى المفهوم التاريخي والجدلي (١٨) · وعندما جعلوا من الحرية هدفا للتاريخ ، فقد عبروا عن نزوعات البورجوازية الثورية والصاعدة التي كانت تتمسك بمبدأ الحرية في الاقتصاد والاجتماع والسياسة·